المقاومة الوطنية الأولي للاستعمار في السودان
ما قبل الحرب العالمية الأولي 1898 – 1916

د/ فتح الرحمن الطاهر عبد الرحمن حمد

استاذ مشارك/ جامعة البحر الأحمر

مستخلص البحث

هدف هذا البحث الي دراسة نشاط المقاومة الوطنية الاولي للحكم الثنائي بالسودان من بداية الاحتلال 1898- وحتي عام 1916, مما يؤكد اهميه البحث في ابراز ضرورة وجود هذه الحركات في مواجهة الوجود الاجنبي بالسودان.

اتبع الباحث منهج البحث التاريخي الوصفي والتحليلي في جمع المعلومات من المصادر والمراجع ثم نقاشها وتحليلها والوصول خلالها الي نتائج وتوصيات ضمنت نهاية البحث.

وقد خلص البحث الي عدد من النتائج من بينها ان هذه المقاومة الوطنية للاستعمار قد ارتبطت بالجانب الديني والذي مهد لظهور حركات المهدية الجديدة وادعاء العيسوية. وعلي الرغم من هزيمة المهدية في الميادين العسكرية وتحريم افكارها الا ان ايديولوجيتها ظلت قائمة ومستمرة بدليل انطلاق العديد من حركات المهدية الجديدة.

واوصت الدراسة بضرورة الاهتمام بتوثيق هذه الفترة المهمة من تاريخ السودان ونشرها, وتضمينها في مناهج التاريخ بمراحل التعليم المختلفة بالسودان.

ABSTRACT

The aim of this research is to study the activity of the first national resistance to the condominium in Sudan in the period before the outbreak of the First World War in the period from the beginning of the occupation 1898 - until 1916 in the period of the First World War, which confirms the importance of research in highlighting the necessity of the presence of these movements in the face of existence The foreigner in Sudan. The research followed the method of historical descriptive and analytical research in collecting information from sources and references, then discussing and analyzing them, and arriving at results and recommendations that ensured the end of the research.

The new Mahdiyya and the claim of Al-Isawiya. Despite the defeat of the Mahdist in the military fields and the prohibition of its ideas, its ideology remained present and continuous, as evidenced by the launch of many of the new Mahdist movements. .

المقدمة:

كان هناك راي بأن إعادة فتح السودان وغزوه بواسطة القوات البريطانية المصرية قد وضع حداً للمعارضة والمقاومة الوطنية السودانية وأنه أيضاً قد خلق نوعاً من الاستقرار والطمأنينة في البلاد حتي قيام الحرب العالمية الأولي, فهو بالتأكيد راي غير صحيح لأن المعارضة والمقاومة للإدارة الجديدة قد اندلعت منذ البداية في كل أنحاء السودان وقد اتخذت أشكال متعددة تميزها أهداف في أغلبها كانت دينية وبعضها ارتبط بما يعرف بالمهدية الجديدة.

أهداف البحث:

هدف هذا البحث الي دراسة المقاومة الوطنية الأولي للاستعمار في السودان في الفترة (1898- 1916) ، وبيان الدور الذي لعبته هذه المقاومة الأولي في مواجهة الوجود الاجنبي في السودان.

أهمية البحث:

جاءت أهمية هذا البحث في أنه يناقش فترة مهمة من تاريخ المقاومة الوطنية للوجود الاجنبي بالسودان ويعتبر بذلك إضافة مهمة إلي المكتبة التاريخية.

مشكلة البحث:

تعتبر هذه الفترة من تاريخ المقاومة الوطنية للحكم الثنائي هي فترة انتشرت فيها العديد من الحركات التي كانت في معظمها ترتبط بالجانب الديني إلا أنها كان لها دور كبير في المقاومة والمواجهة المباشرة للحكومة الاستعمارية. ولفهم هذا الدور لتلك المقاومة فانه يستوجب الإجابة علي بعض الأسئلة التي من بينها, ما هو الدافع الرئيسي لقيام هذه الحركات؟ إلي أي مدي كان تأثير هذه الحركات ونشاطها

في مواجهة الحكومة الثنائية؟ وما هو الأثر الذي تركته هذه الحركات في تاريخ المقاومة الوطنية للاستعمار بالسودان؟.

منهج البحث:

منهج البحث التاريخي الوصفي والتحليلي.

حدود الدراسة:

يغطي البحث الفترات التالية:

الحدود الزمانية: 1898 – 1916.

الحدود المكانية: السودان.

المقاومة الوطنية اشكالها وظروف قيامها:

رغم الهزيمة التي تعرضت لها الحكومة المهدية في معركة كرري فقد ظل عدم الاستقرار الأمني للحكومة الاستعمارية صعباً للغاية بسبب المقاومة الوطنية التي اتسمت بطابعها الديني والقبلي وغيرها من الأسباب. فقامت العديد من الثورات وحركات المقاومة الوطنية التي أرهقت الحكومة الاستعمارية.

وفي خطوة لاحتواء الموقف واستباب الأمن فقد لجأ الحكام الجدد منذ البداية لاستقطاب الزعماء الدينيين المعادين للمهدية وغيرهم، وقد عمل البريطانيون علي حذر للموازنة بين جميع القوى المتعاونة معهم لكي تحول دون أن تصبح إحداها أكثر قوة ولكي تكون الإدارة أكثر تجنباً للاعتماد علي أي منها(بخيت ؛جعفر محمد علي, 1987م, ص76).

وقد عمل الإنجليز على استمالة زعماء الطرق الصوفية الذين تعارضت طرقهم مع المهدية ومكنوهم من ممارسة شعائرهم بحرية تامة وأغدقوا علي مشايخهم النياشين وكساوي الشرف الدينية وعرفوا زعماء هذه الطرق بولائهم للحكومة ولكن عندما اشتّد الوعي الوطني وهبت الأحزاب الوطنية لتحرير البلاد وقف أكثر رجالات الطرق الصوفية مع الحركة الوطنية وناصروها مما أدى إلى رجحان كفة الأحزاب الاتحادية المناوئة للإنجليز من أول انتخابات لاختيار أول حكومة وطنية (نجيلة؛ حسن, 1980, ص 83).

ويري الباحث أنه علي الرغم من الإجراءات والخطوات التي اتبعتها الإدارة الاستعمارية في السودان لكسب ثقة الأهالي مثل تشكيل نظام إدارة اهلية لإعطاء السودانيين إحساساً بالأمن في أنفسهم وأموالهم, إلا أن ذلك لم يمنع المقاومة الوطنية للوجود الاجنبي في السودان من أداء دورها الوطني في مواجهة الاستعمار.

وعندما لم تجد الحكومة من الأعمال ما يجرم هؤلاء الثوار الذين يدفعهم العامل الديني ويجرهم الي المحاكمة فقد لجأت الي محاكمتهم دينياً بتشكيل مجلس من العلماء المسلمين وكانوا من القضاة في الخرطوم وأم درمان وغيرهم من المشهود لهم (رزق؛ يونان لبيب, 1976, ص 149-150).

ويقول القدال, كانت جذور الحركة الوطنية الحديثة في السودان قد قامت لأجل انتزاع الحرية وطرد المستعمر، لتكون البلد مستقلة ويحكمها أبناؤها وهم الذين يقررون ذلك. وكانت هذه الاتفاقية هي البذرة الأولى والدافع الأساسي للحركة الوطنية في السودان، وقد قامت خلال الفترة من 1899-1918م العديد من حركات المقاومة الوطنية التي تعبر عن رفض الحكم الثنائي في السودان. كانت المقاومة في البداية متأثره ومرتبطة بالمهدية، وكانت الحركات الدينية هي المحرك

الاساسي للمقاومة التي كان أغلب قادتها يدّعون العيسوية أو المهدي المنتظر* (القدال؛ محمد سعيد, 1992, ص 293).

المقاومة الدينية والمهدية الجديد:

ظهرت بعض حركات المقاومة الوطنية للاستعمار في مراحله الأولي وكانت في معظمها متأثرة بإحياء تعاليم المهدية في مواجهة الوجود الأجنبي وهذا ما يطلق عليه المهدية الجديدة.

حادثة الشكابة:

كانت الحكومة الجديدة تعلم تماماً بان جذوة المهدية مازالت متعمقة في نفوس السودانيين وأنه لابد من إحباطها والقضاء علي كلما له صلة مباشرة بالمهدية أو محاولة احيائها لذلك كانت أولى تلك المواجهات لإخماد أي توجهات تقود إلي الثورة في هذا المجال هي ما قامت به الحكومة من هجوم عرف بـ (حادثة الشكابة) الذي نفذته في أغسطس 1899م عندما أرسلت الحكومة حملة عسكرية إلي هذه القرية التي اتخذها الخليفة شريف وأبناء المهدي مقراً لهم، إذ كانت بريطانيا تخشى تسللهم والتحاقهم بالخليفة عبد الله في كردفان، وانتهى الأمر بإعدام الخليفة شريف وأبناء المهدي بشرى والفاضل.

حركة علي عبد الكريم:

وتوالت الحركات الدينية المرتبطة بالمهدية الجديدة ففي عام 1900م قامت حركة علي عبد الكريم بأم درمان عاصمة المهدية. وقامت الحكومة بالقبض علي علي عبد الكريم واتباعه واتهمتهم بالدعوة للمهدية وحض الناس علي التمرد.

وعندما تم استجواب علي عبد الكريم وأتباعه لم ينكروا اعتقادهم في المهدي وفي توقع نزول النبي عيسي لإنقاذ السودان والعالم الاسلامي جميعه, ويقولون أنه قد أوحي إليهم بشيء من ذلك. وأكدوا جميعهم علي أنه من واجبهم الوقوف في مواجهة الحكومة لأن ذلك يعتبر إلهاماً قدسياً لا يرد.

وقد أطلقت هذه الجماعة التي عرفت بجماعة ود الكريم علي نفسها (عباد الله) وكان لها خمسة شعائر للإيمان هي:-

1- كل ما يعمل بالأقوال أو الأفعال يكون صحيحاً إذ أنه (بفعل الله).
2- إن الله ساهر علي كل خلقه وأنه لن يتخلى عن من يؤمن به.
3- كل ما يحدث من خير أو شر فهو من إرادة الله.
4- لتسبح بحمد الله عند وقوع الشر أو الخير. وعلينا أن نسبح باسم الله.
5- كل الأفعال تعزي إلي إلهام من الله.

بعد القبض علي علي عبد الكريم واتباعه تشكلت لهم محكمة ضمت كل من سلاطين باشا ونعوم شقير والبمباشي نيبول. وقد رأوا أنه بالنظر إلي البند الخامس المتعلق بالوحي الإلهي يكون من الأوفق أن يبعد عدداً من قادة الجماعة الذين بلغ عددهم سبعاً وعشرين من أم درمان بأسرع فرصة ممكنة.

وقد شكلت لجنة للتحقق في مدى ملاءمة مذهب علي عبد الكريم مع المذاهب والتعاليم الإسلامية, وبيان الإجراء الذي يتعين اتخاذه ضد علي عبد الكريم واتباعه؟. وقد جاء تقرير اللجنة بأن تعاليم علي عبد الكريم مخالفة للمبادئ الإسلامية وان وجود اتباعه خطر علي الديانة الإسلامية (بشير؛ محمد عمر, 1980م, ص 69- 71).

وبناء علي تلك اللجنة فقد نصحت اللجنة الحكومة بإبعاد علي عبد الكريم واتباعه الذين بلغوا سبعاً وعشرين شخصاً من أم درمان وتم وضع علي عبد الكريم بسجن في وادي حلفا وبقي رهن السجن والقيد إلي أن توفي بعد الحرب العالمية الأولي.

حركة الشريف محمد الامين:

طاف الشريف محمد الأمين في الأقطار الإسلامية في رحلته للحج ورجع من مكة بوثيقة تثبت انتسابه لآل البيت ووثيقة أخري كنداء لقبائل السودان بتأييده وشد أزره. وعندما حط رحاله في جبال تقلي جهر بدعوته وتبعه عدد من الناس. وعندما ترامي إلي مسامع الحكومة خبره قاد ماهون باشا مدير كردفان حملة من الخرطوم وكان في طريقه للإجازة وداهم الشريف في قرية بالقرب من دار تقلي وقتل من قاوم من اتباعه وتم أسر البقية بما فيهم زعيم الحركة الشريف محمد الأمين وتم اقتيادهم إلي الأبيض حيث تم إعدامه شنقاً. وقد عبرت الحكومة في تقرير لها بان هذه الدعوة كان يمكن أن تشكل خطراً كبيراً علي الحكومة إذا استمرت لمدة شهرين (شبيكة؛ مكي, السودان في قرن 1819-1919, 1947م, ص 330).

وكانت هناك بعض التحركات للفكي نجم الدين الذي كان مطلوباً القبض عليه منذ عام 1901 لتعصبه الديني. وقد زار سنار لإثارة الأهالي هناك, ولكن قبض عليه سريعاً وأعدم.

وفي نفس العام أعلن الفكي مدني بمديرية النيل الابيض أنه النبي عيسى وتم القبض عليه.

حركة محمد آدم:

في عام 1904 ادعي محمد آدم انه النبي عيسي, وقتل مأمور مركز سنجة عندما حاول القبض عليه ولكن الحكومة أرسلت إليه قوة استطاعت أن تقتله في 4 ابريل 1908 (شبيكة؛ مكي: مختصر تاريخ السودان, 1965, ص 132).

حركة عبد القادر ود حبوبة:

قامت حركة عبد القادر بن محمد إمام ود حبوبة في قري الحلاوين في الجزيرة في عام 1908م, وكان والده محمد إمام من مشاهير القبيلة وعرف بأصالة الرأي وبعد النظر. أما عبد القادر فقد انضم إلي جيوش المهدية مجاهداً وانضم إلي جيش الأمير عبد الرحمن النجومي وبعد موقعة توشكي كان ضمن الاسري في مصر وسمح له بالعودة إلي بلاده. كان أخوان عبد القادر من المعاونين للحكومة في جمع الذرة والقبض علي المؤمنين بالمهدية. كان عبد القادر مرتبطاً بتعاليم المهدية ولم يكن معترفاً بهذه الحكومة الاستعمارية. وقد باع جزءاً كبيراً من أراضيه وفتح بقيمتها خلواته للضيوف وبدأ يتجمع حوله كل المؤمنين بالمهدية وتعاليمها والناغمين علي الحكومة الجديدة مما أدي الي لفت نظر الحكومة التي ترامي إلي مسامعها أن عبد القادر يعمل علي حشد التجمعات من أنصار المهدية وأعداء الحكومة وان انصاره في ازدياد (شبيكة؛ مكي, السودان في قرن 1819-1919, 1947م, ص 332).

وكانت بداية الأحداث حينما وضع رجال المساحة علامة تحديد لأرضه, عندما أرادوا الفصل في قضية نزاع ثار بينه وبين أقاربه وكانت علامة التحديد في شكل صليب فاستغل تلك العلامة وأشاع أن الإدارة في البلاد تحاول التبشير بالدين المسيحي وتفرضه فرضاً بهذا الشكل مما أثار أنصاره الذين شايعوه (مرقص؛ يواقيم رزق: 1984, 20).

وحينما بلغت الإشاعة حداً من الذيوع والانتشار وبعد أن طُلب عبد القادر للمركز ولم يلبي الطلب ذهب لمقابلته مفتش انجليزي ومأمور مصري ولكنه قتلهما. وبهذا فان الحكومة قد ايقنت أنه لابد من القضاء عليه وعلي ثورته في مهدها. وبذلك قامت بلوكات الجيش من مدني والخرطوم وتم لها القضاء علي حركة ود حبوبة بعد معركة فقدت فيها قوات الحكومة عدداً من جنودها, وقبض علي عبد القادر بعد وقت من الواقعة ونفذ فيه حكم الاعدام في سوق حلة مصطفي من قري الحلاوين (شبيكة؛ مكي, السودان في قرن 1819-1919, 1947م, ص 332).

كانت حركة عبد القادر ود حبوبة أبعد اثراً من غيرها, وكان من أثر هذه الحركة ان طلب ونجت باشا من حكومته في بريطانيا إرسال قوة عسكرية لحفظ الأمن في السودان ومواجهة أذيال المهدية وما يقومون به من حركات مناوئة.

بعض الحركات الدينية بعد ثورة عبد القادر ود حبوبة:

أعقبت ثورة عبد القادر ود حبوبة بعض الحركات مثل حركة عبد الوهاب بجزيرة تنقاس الذي عزم علي القيام بتمرد وقامت الحكومة علي الفور بتفتيش منزله ووجدت خطابات تؤيد الولاء له وتطالب بإعادة حكم المهدية, وتم القبض عليه وعلي بعض أتباعه(بشير؛ محمد عمر, 1980م, ص 73).

وهناك أيضاً حركة دينية تزعمها الشريف مختار الهاشمي من قبيلة الشنابلة سنة 1910 ورغم أنه كان علي علاقة سيئة بالمهدية إذ أنه أعلن نفسه الخليفة الرابع فسجنه الخليفة وأعلن أنه النبي عيسي عام 1910 وحوكم هو واتباعه

وعوقب بالسجن مدي الحياة (شبيكة؛ مكي: مختصر تاريخ السودان, 1965, ص 21).

وفي نفس العام ظهر النجم المذنب "هالي" في السماء فأثار ظهوره الخرافات في جوار سنار, وأراد بعض التعايشة ونفر من القبائل الغربية الذين كانوا مقيمين حول رمش وفلاتة الشيخ طلحة إثارة بعض حركات المقاومة إلا أن الحكومة قمعت تلك الحركات في مهدها.

وفي عام 1912 أعلن الفكي عكاشة أحمد وهو من أتباع عبد القادر ود حبوبة في كردفان أنه المهدي المنتظر. وجمع عدداً كبيراً من الاتباع فالقي عليه القبض وتم إعدامه.

وفي عام 1915 أعلن أحمد عمر وهو فلاتي من سوكوت بدارفور أنه النبي عيسي وأرسلت قوة من رجال البوليس للقبض عليه وتم إعدامه.

في شرق السودان جمع أحد رجال الدين المتعصبين ويدعي محمد الحاج سانبو ثلاثين رجلاً تقريباً من الهدندوة والفلاتة وهاجم قلعة كسلا في عام 1918. لكن تغلبت عليه الحكومة وقتل بعض من رجاله.

وفي مايو عام 1919 أعلن محمد السيد حامد ابن أخت المهدي أنه النبي عيسي بمديرية الفونج, فالقت عليه الحكومة القبض وأعدم شنقاً (بشير؛ محمد عمر, 1980م, ص 81).

ومن خلال كل تلك الحركات والثورات المقاومة للإدارة الاستعمارية يتضح تماماً أن الفكر الذي فجره المهدي لم ينته بموته بل ظل يسري في صدور الكثيرين من السودانيين, وهذا ما دعا إلي أن اتخذ كتشنر قراراً بهدم قبر المهدي وقبته وكان

ذلك بإيعاز من بعض أصحابه وبعض زعماء المسلمين السنة حتي يقوضوا صورته التي ارتسمت في أذهان البسطاء من أبناء السودان, وقد حدث أنه عند هدم القبر والقبة عن طريق القذف المدفعي لم يتهدم سوي جزء فقط فعلل البسطاء منهم بانه سر من بركة المهدي وخوارقه (Budge,W: 1907,p49.).

وقد اتخذت الادارة المركزية في الخرطوم موقفاً أساسه عدم مقاومة التعصب بالعنف المستمر, وانطلاقاً من السياسة التي وضعها كتشنر وهي عدم الصدام مع المسلمين من جهة الدين بل احترام الاسلام بشعائره ومساجده والتابعين, ومن ناحية أخري ضرب المسلمين بالمسلمين أنفسهم. وبهذه الإجراءات فقد أنشأت الحكومة في الخرطوم في يونيو 1901 "هيئة العلماء" واتخذت من مسجد أم درمان مركزاً لها لنشر تعاليمها, علي أن تقوم هذه الهيئة بمراقبة أعمال من يثورون ضد الحكم من الناحية الدينية خاصة وإن كل الحركات المناوئة للحكومة كانت تقوم علي أساس ديني. أما بالنسبة لبقية المديريات فكان علي المديرين أن يتعرفوا علي الشخصيات الهامة, وأن يزودوهم بالتوجيهات بشكل ودي موضحين مكاسبهم التي زادت في عهدهم (مرقص؛ يواقيم رزق: 1984, 23).

مقاومة علي دينار في دارفور:

سلطنة دارفور من السلطنات القديمة في القرن الخامس عشر وقد استمرت قائمة حوالي أربعمائة سنة. وكانت دولة مستقلة تحت حكم خلفاء السلطان سليمان إلي أن تم ضمها إلي الأجزاء الأخرى التابعة لإدارة الحكم التركي بواسطة الزبير رحمة باشا. وقد خضعت بعد قيام الثورة المهدية الي الدولة المهدية عام 1884 (بشير؛ محمد عمر, 1980م, ص 64). وكان علي دينار الوريث الشرعي لسلاطين دارفور, وعندما آلت الإدارة إلي الدولة المهدية وفي عهد الخليفة عبد الله التعايشي

كان علي دينار مسئولاً عن إدارة شئون دارفور باسم الخليفة عبد الله ثم صار الخليفة يشك في ولائه للمهدية ويخشي أن يستقل بالبلاد فطلب من علي دينار أن يأتي إلي أم درمان ففعل وهناك أبقاه الخليفة ملازماً له حتي يقصيه من دارفور(ضرار؛ ضرار صالح , 1968, ص 269).

استمر علي دينار ملازماً للخليفة عبد الله في أم درمان. وعندما اشتبكت القوات الانجليزية المصرية مع قوات المهدية في كرري انتهز علي دينار الفرصة وانسحب إلي أم درمان مع عدد قليل من رجاله وما لبث أن التحق به آخرون من الفور حتي بلغ عددهم الفين رجل. ومن هناك رحل إلي دارفور ودخل الفاشر واستولي علي السلطة ليعيد مجد آبائه. وفي ذات الوقت كان قد سار إلي الفاشر إبراهيم علي وهو من العائلة المالكة في دارفور وكان إبراهيم قد وقع أسيراً في يد كتشنر بعد واقعة عطبرة وسار بموافقة السردار إلي دارفور علي أمل أن يحكمها. وهناك وجد علي دينار موقفه أقوي من موقفه, فحاول الحصول علي التأييد الفعال من كتشنر. واتصل علي دينار بكتشنر مبدياً رغبة في أن يدفع للحكومة جزية سنوية ويرفع العلمين الانجليزي والمصري علي أن لا تتدخل الحكومة في شئون مملكته الداخلية, وقبلت الحكومة بهذا الإجراء (ضرار؛ ضرار صالح , 1968, ص 269).

واجه علي دينار منذ بداية حكومته العديد من المشاكل من بينها الحكومة الثنائية التي تريد أن تشرف علي إدارته وهو يتباعد عنها ولا يعطيها الفرصة لذلك, وكذلك السنوسي في ليبيا كان يطلب من علي دينار السماح لأتباعه أن يقوموا ببناء الزوايا في السلطنة ولكن علي دينار خشي من أن يزداد نفوذ السنوسي الديني والسياسي ولهذا فلم يسمح له بمثل هذا النشاط. كما أن فرنسا أصبحت تهدد حدوده من الغرب وتنوي ضم بعض الأراضي التي كان يراها من أجزاء سلطنته. وكان من بين مشاكله عدم خضوع قبائل الرزيقات لسلطته مما اعتبره خروجاً عليه كما أنه

كان يري أن الحكم الثنائي يؤازر أعداءه, وكان يطمع في أن يمتد حدود سلطنته ليشمل كردفان.

عندما قامت الحرب العالمية الأولي سنة 1914 كان علي دينار قد بلغ استياؤه من الحكم الثنائي حداً بعيداً وكان للنداء الذي أطلقه العثمانيون للمسلمين لمحاربة بريطانيا قد وصل إلي الدول الاسلامية ومن بينها السودان, واتصل القادة الأتراك نوري باشا وانور باشا بعلي دينار الذي بدأ يتوقع الإمدادات العسكرية التركية عبر ليبيا ليقود الجهاد مع خليفة المسلمين في حرب دينية ضد الدول المسيحية وخاصة الإنجليز الذين منعوا أهل سلطنته من الذهاب إلي الحج, وكان يعد العدة وينتظر الأسلحة التركية لينهي الحكم الثنائي بالسودان, ولكن الأتراك اخفقوا في إيصال الدعم العسكري لعلي دينار. وقد كان حماس علي دينار لمناصرة خليفة المسلمين في تركيا ورغبته في محاربة الإنجليز لإخراجهم من البلاد له أثر كبير في مجابهة الحكومة الثنائية بالعدوان (ضرار؛ ضرار صالح , 1968, ص 270).

نتيجة لمواقف علي دينار المناوئة للحكومة الثنائية ومواقفه الداعمة للأتراك في الحرب العالمية الأولي بالإضافة إلي تخلي علي دينار عن التزاماته تجاه حكومة السودان وإعلانه استقلاله لم يكن أمام الحكومة سوي غزو دارفور. فأرسلت الحكومة قواتها بقيادة هدلستون في عام 1916 وسقطت الفاشر في مايو1916 (بشير؛ محمد عمر, 1980م, ص 66).

خرج هدلستون من الأبيض ومعه 3000 جندي مسلحين بالمدافع الرشاشة, وكان علي دينار لديه 4000 جندي وفارس سلاحهم السيوف وقليل من البنادق القديمة وكثير من الحماس. درات المعركة بينهم ولكن تفوقت القوات الحكومية عليه، وفقد عدد كبير من جنوده وانهزم الباقون في موقعة برنجية في 22 مايو 1916 وتراجع السلطان علي دينار بعد الهزيمة وانسحب الي جبل مرة, وهناك

تخلي عنه الكثيرون من رجاله وانتهز هدلستون هذه الفرصة وهجم عليه في الجبل وأصيب علي دينار برصاصة قتلته, وانتهت أكبر مقاومة مسلحة في السودان (ضرار؛ ضرار صالح , 1968, ص 271).

حركة عبد الله السحيني:

قاد الفقيه عبد الله السحيني ثورة في مركز نيالا جنوبي دارفور في عام 1921. وقد ادّعي أنه النبي عيسي وأثار حرباً دينية, وكان معه آلاف الأنصار المسلحين. وقد أرسلت إليه الحكومة حملة من الفاشر, وقد مات في هذه المعارك المفتش ماك نيل وشاون ومعهما أربعة كتبة, وقد تمكن الضابط السوداني بلال رزق ومن بقي معه من الجنود من إعادة احتلال مكاتب الحكومة. وأخيراً تم شنق عبد الله السحيني في يوم 3 أكتوبر 1921 (حسين؛ عبد الله, 2013, ص 127-128).

حركة وتذمر الوحدات العسكرية السودانية:

كان من أخطر الحركات التي شكلت خطراً كبيراً علي الإدارة الاستعمارية هي تلك التي بدأت تلوح في الأفق من بعض القوات السودانية في الجيش الحكومي التي بدأت تدب في اوساطها روح الكراهية والتذمر بعد الفتح مباشرة.

ويعود تاريخ الوحدات السودانية في الجيش المصري إلي عام 1898 عندما كونت ست أورطات عسكرية من السجناء والهاربين من جيش الخليفة, بالإضافة "إلي اثنتي عشرة أورطه من وحدات الجيش سواء كانت مصرية أو سودانية من البريطانيين.

وسياسة التعيين قضت أن لا يعين أحداً من الضباط البريطانيين في وظيفة أقل من وظيفة ميجر, ولا أن يعمل تحت إمرة مصري.

وبالنسبة إلي جميع الأورطات السودانية كان معظم الضباط الصغار من المصريين الذين تلقوا تدريبهم بالمدرسة العسكرية بالقاهرة أو من حفنة من السودانيين الذين ترقوا في صفوف القوات المسلحة.

وبعد سفر كتشنر إلي جنوب افريقيا رفعت الأورطات السودانية الأربعة عشر راية التمرد. ففي يناير عام 1900 قامت إحدي الأورط بإلقاء القبض علي الضباط البريطانيين واستولت علي المهمات العسكرية.

وقد أوضح كرومر رايه في هذا التمرد في خطاب خاص كان ملخصه ان الانطباع السائد بين الجنود كان نتيجة للهزائم في التراسنفال, وقد تردد في أم درمان بان تمرداً قد حدث بالقاهرة او أنه يجب إرسال قوات من السود الي راس الرجاء الصالح وغيرها.

وقد ارسل الكولونيل جاكسون إلي أم درمان لكي يقوم بالتحقيق في التمرد وتقديم تقرير عن أسبابه وأي مقترحات فيما يجب اتخاذها مستقبلاً. وتوصل جاكسون إلي العديد من الأسباب من بينها أن بعض الضباط المصريين كونوا سراً نادياً أو جماعة وطنية مركزها القاهرة وأنهم كانوا علي اتصال دائم بها ولهم فرع في أم درمان. وعندما جاءت الأوامر للضباط بتسليم اسلحتهم دار بخلدهم أن الإشاعات بشان اضطرابات القاهرة لا بد ان تكون صحيحة. في حين ان الأوامر كانت من باب الاحتياط لأي احتمال تمرد في صفوف الجنود المصريين والسودانيين.

وبتحريض من اليوزباشي محمود مختار من الأورطة السودانية الرابعة عشر رفض الجنود الأوامر وهاجموا المخازن وأبعدوا الحارس واستولوا علي كميات كبيرة من

المهمات الحربية. ولما قبض علي بعضهم انفجر لهيب التمرد وتحقق لجاكسون عدم رضا العديد منهم ا، فقد كانوا يشكون من قلة مرتباتهم واللوائح المعاشية وغيرها.

وتتلخص مقترحات جاكسون في أنه يجب أن يتم اختيار قواد الأورط السودانية بكل دقة. وخوفاً من التأثير المصري فإنه يجب سحب جميع الطلاب السودانيين من المدرسة الحربية بالقاهرة وانشاء مدرسة حربية للطلاب السودانيين بالخرطوم. وبهذا كان من ملخص تقرير جاكسون أنه لتجنب التمرد مستقبلاً فلا بد أن تقوم الحكومة بتخريج ضباط من السودانيين من مدرستها الحربية بالخرطوم ومن ثم أسست المدرسة الحربية بالخرطوم عام 1905. ودخل المدرسة عدد من الطلاب السودانيين بينما فضل آخرون دخول كلية غردون التذكارية (بشير؛ محمد عمر, 1980م, ص 74-78).

وترتب علي ذلك ظهور طبقة من الضباط السودانيين منذ عام 1908. وهذه الطبقة قدر لها ان تلعب دوراً هاماً في تاريخ السودان وتاريخ المقاومة والحركة الوطنية. وكان لها الفضل في أن تلعب دوراً مهماً في أحداث 1924 التي قادها الضباط السودانيين بقيادة عبد الفضيل الماظ.

حركات المقاومة القبلية:

قامت بعض حركات المقاومة من منطلق قبلي وهي مدفوعة بعوامل ومفاهيم قبلية وعقائدية موجهة ضد أي جهة أجنبية تحاول أن تفرض سلطاتها عليها, ومن هذه المقاومات:-

مقاومة قبائل جنوب السودان:

لم يكن الامن في جنوب السودان أقل اضطراباً من شمال السودان الّا ان هذه الحركات لم تكن بسبب الدين كما حدث في شمال السودان, وفي عام 1900 ارسلت الحكومة حملة إلي بحر الغزال لتأديب القبائل التي تقود الفوضي والاضطرابات في الجنوب. وفي عام 1901 قوبلت الحملة التأديبية التي أرسلتها الحكومة بمقاومة شديدة وقتل الجنوبيون معظم جنودها كما قتلوا المفتش الانجليزي فاضطرت الحكومة إلي إرسال حملة تأديبية ارتكبت فيها الفظائع مما ترك أثراً سيئاً في نفوس الأهالي ضد الإدارة الجديدة.

قام بعض الأفراد من قبيلة دينكا أجار بقتل ضابط بريطاني هو البمباشي سكوت باربور في عام 1901م, فأرسلت إليهم قوات حكومية احرقت قراهم وقتل فيها الشيوخ كما صودرت منهم مواشي.

أرسلت حملة أيضاً للقضاء علي تمرد دينكا أتوات علي نهر لاو في عام 1903, وأرسلت العديد من الحملات بين عامي 1907م و 1910م ورغم ذلك لم يتم القضاء نهائياً علي التمرد. وقد استمرت القبائل الجنوبية في مقاومتها للحكومة الجديدة حتى عام 1917م عندما استطاعت القوات الحكومية من إخماد تلك الحركات (بشير؛ محمد عمر, 1980م, ص 68).

وقد ثارت قبيلة نيام نيام في عام 1903م بقيادة السلطان ريكتا ابن سلطان يامبيو وهاجموا فصيلة من الجيش كان يقودها كابتن وود, وقاد سلطان يامبيو نفسه جيشاً من الأهالي ضد قوات الحكومة في عام 1905م ولكنه هزم ومات متأثراً بجراحه, واستمر ابنه في معاداة الحكومة إلي أن تم القبض عليه في عام 1914م وأبعد إلي الخرطوم حيث توفي في عام 1916م(بشير؛ محمد عمر, 1980م, ص 68-69).

وايقنت الحكومة أنه للقضاء علي تلك الحركات وفرض الامن فإنه لا بد من تأسيس نقاط للتامين فأسست الحكومة تسعة نقاط للبوليس في عام 1905 وقد بلغ قوامها 1300 جندي و64 ضابطاً وبذلك فقد اصبح الحكم هناك حكماً عسكرياً مما أدي الي ارتفاع ميزانية صرف الحكومة علي تلك القوات المرابطة هناك (شبيكة؛ مكي: مختصر تاريخ السودان, 1965, ص 22).

كانت هناك ايضاً صراعات وغارات متبادلة بين قبائل الجنوب فيما بينها مثل الدينكا والنوير والأنواك والبوير, وفي الفترة من 1907م -1913م كانت هناك هجمات من قبيلة البوير علي قبيلة الدينكا, وفي عام 1914م هاجمت قبيلة الدينكا والماندالا بعض القبائل في تلك المناطق, كما أن هناك ثورة للشلك في عام 1915م وأخري للنوير في الأعوام 1913 و1914و1917م, وكذلك ثار الأنواك في عام 1913م فأرسلت الحكومة قوات مسلحة لمواجهة وحسم تلك الثورات القبلية. ولم يتم القضاء علي ثورة آخر القبائل الجنوبية الثائرة وهي التبوسا إلا في عام 1926م.

ويري محمد عمر بشير أن العامل المشترك لكل تمرد أو عصيان في جنوب السودان هو معارضة فرض الضرائب ومقاومة الحكم الدخيل لا سيما وإن تجربة الجنوبيين مع إدراة الحكم التركي التي ارتبطت بقهر تجار الرقيق قد أدت إلي ارتياب قبائل الجنوب ومقاومتهم لأي حكم اجنبي.

وقد كان من الأسباب التي شجعت هذه الحركات في جنوب السودان هي تلك الكميات من الأسلحة والذخيرة التي تسربت الي تلك القبائل أبان حروب الأتراك والمهدية, ومن ثم فقد أصبح من الضروري استصدار قانون ينظم حمل واحراز الاسلحة النارية ضمن أول مجموعة من القوانين صدرت عام 1903, الا أنه كان علي السلطة الإدارية في نفس الوقت ان تستثني رؤساء القبائل الذين أهدتهم هي

الأسلحة كجوائز لقاء خدماتهم للحكومة واستمالة لهم. ثم صدر قانون لاحق يحدد استرداد واستعمال الأسلحة النارية والذخائر, إلا أنه كان عديم الأثر اذ استمرت عمليات تهريب الأسلحة من الحبشة والحدود الغربية. وفي اقصي جنوب السودان فقد كان الجلابة يمثلون عنصراً لدعم هذه الحركات اذ قامت علي أكتافهم تجارة السلاح (Warburg,G: 1971,p140).

مقاومة قبائل النوبة:

قاوم النوبة الحكومة الاستعمارية لنفس الأسباب التي من أجلها قاوم الجنوبيون الحكومة. وعند محاولة النوبة محاربة القبائل العربية في السهول اضطروا إلي التقهقر إلي سفوح الجبال حيث لم يكن بمقدور أي سلطة اجنبية الوصول اليهم. ونتيجة لذلك فإنهم لم يخضعوا إلي الحكم التركي وكذلك للمهدية إلا بعض المناطق الجبلية الصغيرة حيث نأت الجبال الكبرى عن الخضوع, وقد واجهت حكومة الاستعمار نفس الموقف. وتميزت قبائل النوبة بالقوة وأنها كانت مسلحة تسليحاً جيداً, وقد ظلوا يقاومون أوامر الحكومة ويتحدونها, وقد تم القبض علي بعض النوبيين الذين كانوا جنوداً في الجيش .

انتشرت مقاومة النوبة في كثير من مناطقهم ومن بينها مقاومة قبائل النوبة في منطقة جبل الداير التي رفضت دفع الجزية المفروضة عليهم من قبل الحكومة. واستمرت المقاومة في جبل براني في مركز تلودي عامي 1908 و 1917م, وفي رقيق عامي 1910-1911م, وفي هيبان عام 1911م, وتوقوي عام 1910م, والطير الأخضر عامي 1914-1915م, وفي مركز كارو جلي والليري ونيانج نيانج 1906م, وكيله كرون 1910م, وشط الصافية 1914م, وميري وفاندو وكيلا كيدو وتيمة وسسبي وذلمار 1914م (بشير؛ محمد عمر, 1980م, ص 68-69).

ويقول ماكمايكل أن مشكلات جبال النوبة في جنوب كردفان كانت فريدة في نوعها حيث هي منطقة مكونة من مجموعة كثيرة من الجبال مأهولة بأخلاط من زنوج من أصول قديمة في غاية البدائية يتحدثون لغات مختلفة وعاداتهم مختلفة, وكانوا يشنون الغارات علي بعضهم البعض ويقتلون محصلي الضرائب أو التجار ببنادق الرمنيجتون العتيقة التي استولوا عليها خلال فترة المهدية ومزودة بذخيرة مصنعة محلياً. لم يتم إخضاعهم في فترة التركية أو المهدية. وهم متوحشون وأقوياء يربون قطعاناً صغيرة من أبقار من سلالات رديئة, لقد كان لا بد من إخضاعهم عاجلاً أم آجلاً. وقد تم اقتحام جبل الداير عام 1904م كما تم إقامة مراكز في بعض المناطق التي كان الوصول إليها ميسوراً مثل تلودي, وتم السيطرة علي جبل نياما 1908م, وجبل كاتلاكدو 1909م وجبل تاقوي وجبال أخري حتى عام 1911م. وتم تجنيد عدد كبير من أبناء النوبة المعتقلين في الفرق السودانية وأصبحوا جنوداً أشداء(ماكمايكل؛ السير هارولد, 2009م, ص 128).

ومن أخطر الثورات التي قامت أثناء الحرب العالمية في السودان الثورة التي قامت في جبال النوبة والتي قام بها عجبنا في جبال الثما بمركز الدلنج والذي سيطر علي مجموعة من الجبال التي تحمل اسم الثما وأعلن عصيانه علي الحكومة وطلب من السكان موافاته بالضريبة بدلاً من توريدها للحكومة, ولكن الحكومة قد قضت علي ثورته.

النتائج والتوصيات:

النتائج:

خلصت الدراسة الي عدد من النتائج وهي:

1. ارتبطت المقاومة الوطنية الأولي للاستعمار في السودان بالجانب الديني والذي مهد لظهور حركات المهدية الجديدة وإدعاء العيسوية.
2. رغم أن الحكومة الاستعمارية قد هزمت تلك الحركات في السودان في ذلك الوقت وحاولت أن تحرم وتمنع انتشار افكارها إلا أن ايديولوجيتها ظلت قائمة ومستمرة بدليل ظهور حركات المهدية الجديدة التي ظلت تظهر في كل حين وظلت تؤرق الحكومة الاستعمارية.
3. ومن الناحية الدينية فانه قد سادت افكار تقول بأنه بعد انهزام المهدية سياتي المسيح من السماء ليقود المؤمنين الانصار لقتل الدجال ومن ثم يعود العصر الاسلامي الزاهي من جديد, لذلك ظهر العديد من الأشخاص الذين ادّعوا أنهم النبي عيسي.
4. عندما لم تجد الحكومة من الأعمال ما يجرم هؤلاء الثوار ويجرهم إلي المحاكمة فقد لجأت إلي محاكمتهم دينياً بتشكيل مجلس من العلماء المسلمين وكانوا من القضاة في الخرطوم وأم درمان وغيرهم.

التوصيات:

بناء علي ما سبق توصي الدراسة بضرورة الاهتمام بالبحث العلمي الخاص بالمقاومة السودانية الأولي للوجود الاستعماري في الفترة منذ الغزو الانجليزي المصري وحتي فترة الحرب العالمية الأولي, وإبراز دور المقاومة الوطنية لهذا الاستعمار والتي لم تحظ بالدراسة.

وتوصي الدراسة بالاهتمام بإقامة المؤتمرات العلمية وغيرها من الندوات التي تتناول تاريخ الحركة الوطنية عموماً وتاريخ المقاومة الوطنية الأولي في فترة ما قبل الحرب العالمية الأولي علي وجه الخصوص. وكذلك تضمين مخرجات هذه الدراسات ضمن مناهج التعليم في المراحل المختلفة بالمدارس والجامعات السودانية.

المصادر والمراجع:

(1) القدال؛محمدسعيد: تاريخ السودان الحديث–1820–1955م,الخرطوم,ص293.

(2) بخيت؛ جعفر محمد: الادارة البريطانية والحركة الوطنية في السودان–1919–1939م, الخرطوم, 1987م.

(3) بشير؛ محمد عمر: تاريخ الحركة الوطنية في السودان 1900م – 1969م, طبع في دار الفكر بدمشق, الناشر الدار السودانية للكتب, الخرطوم 1980م.

(4) حسين؛ عبد الله: السودان من التاريخ القديم الي رحلة البعثة المصرية, ج2, مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة, رقم الايداع 7891/ 2013, القاهرة, 2013.

(5) رزق؛ يونان لبيب: السودان في عهد الحكم الثنائي الاول, القاهرة, 1976.

(6) ضرار؛ ضرار صالح: تاريخ السودان الحديث, دار مكتبة الحياة, ط4, بيروت, 1968.

(7) شبيكة؛ مكي: السودان في قرن 1819–1919م, مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة 1366هـ – 1947م.

(8) شبيكة؛ مكي: مختصر تاريخ السودان, بيروت, 1965.

(9) ماكمايكل؛ السير هارولد: السودان, ترجمة محمود صالح عثمان صالح, الطبعة الثانية 2009م مركز عبد الكريم ميرغني الثقافي.

(10) مرقص؛ يواقيم رزق: تطور نظام الادارة في السودان في عهد الحكم الثنائي الاول 1899–1924, دار الكتب رقم الايداع 4274/1984, القاهرة 1984.

(11) نجيلة؛ حسن: ملامح من المجتمع السوداني, مجلد2–الخرطوم, طبعة اولى1980م.

المراجع الاجنبية:

Warburg,G:The Sudan ander Wingate, London, (1) 1971.

Budge,W: The Egyption Sudan. Vol.11 London, (2) 1907.